الأربعاء 8 مايو/ أيار 2024 م 29 شوال 1445 هـ ◻ العدد 3537 السنة العاشرة
Wednesday 8 May 2024

العربي الجديد

هوامش

تواجه هضبة سيدي بوسعيد، في تونس العاصمة، مخاطر التعرّض إلى انزلاق أرضي، يصعب إلى حدّ الآن تقدير خطورته، ودرجات الانزلاقات المتوقعة، إلا بعد إجراء الدراسات الضرورية لكشف هذه المخاطر

تطل ضاحية سيدي بوسعيد على البحر الأبيض المتوسط (ياسين قايدي / الأناضول)

سيدي بوسعيد
الضاحية تواجه مخاطر الانزلاق الأرضي

تونس ـ **محمد معمري**

تعدّ ضاحية سيدي بوسعيد الجبلية، في الضاحية الشمالية للعاصمة التونسية (20 كيلومتراً عن وسط العاصمة)، واحدة من أهم المعالم السياحية المطلة على البحر في تونس؛ إذ تقع على منحدر صخري يطل على ضاحية قرطاج التاريخية. هذه المنطقة هي قبلة الزوار من تونسيين وأجانب، لوجود العديد من المعالم التاريخية فيها، مثل قصر النجمة الزهراء. كما تتميز بمعمارها الخاص؛ فجلّ المباني فيها بنيت بطريقة تقليدية، مع طلائها باللونين الأبيض والأزرق اللذين باتا العلامة المميزة للمنطقة. وتنتشر في أزقة المدينة روائح الياسمين الذي يزين بأزهاره جلّ المنازل في الضاحية.

وقد كانت منطقة سيدي بوسعيد قبلة الفنانين من موسيقيين؛ إذ غنى عنها الفنان التونسي الراحل علي الرياحي، والفنان الفرنسي باتريك برويال، كما كانت مزاراً ومحطّ إقامة لفنانين تشكيليين عرب وأجانب، من أشهرهم الفنان السويسري الألماني بول كلي الذي خلّد الطابع المعماري لهذه الضاحية في لوحاته. كانت مدينة سيدي بوسعيد مقر إقامة أيضاً للعديد من الشعراء والمفكرين الذين عاشوا في تونس، ومنهم الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، والمفكر الفرنسي ميشال فوكو، إلى جانب المؤلف الموسيقي الفرنسي من أصول ألمانية، البارون ديلارنجي، الذي شيّد في المنطقة قصره المعروف باسمه، واقتنته الدولة التونسية سنة 1988، ليصبح اسمه قصر الزهراء، وهو واحد من أبرز المعالم السياحية للمدينة، إلى جانب مقهى سيدي الشبعان، والأسواق التقليدية.

هذه الضاحية مهددة بالاندثار بسبب الانزلاقات الأرضية التي تعاني منها، فقد أكد المدير العام لوكالة حماية وتهيئة الشريط الساحلي، مهدي بلحاج، في تصريح لوكالة الأنباء الرسمية في تونس (وكالة تونس أفريقيا للأنباء «وات»)، أن هضبة سيدي بوسعيد مهددة بانزلاق أرضي يصعب إلى حدّ الآن تقدير خطورته ودرجات الانزلاقات المتوقعة، إلا بعد إجراء الدراسات الضرورية لكشف هذه المخاطر. أرجع بلحاج مخاطر الانزلاقات الأرضية التي قد تتعرض إليها الهضبة المطلة على البحر الأبيض المتوسط إلى الانجراف البحري، خاصة أن نوعية التربة التي تتكون منها الهضبة تجعلها قابلة للتآكل. وأضاف أن عامل الأمطار من العوامل التي تساعد على هذه الانزلاقات الأرضية، مشيراً إلى وجودها تحت قصر النجمة الزهراء، أحد أهم معالم الضاحية الشمالية للعاصمة التونسية.

وأرجع أيضاً أسباب الانجراف إلى إهمال بعض سكّان الهضبة، وخاصة تراكم فضلات البناء الذي زاد من حدة هذه المخاطر. وأشار بلحاج إلى أن هناك مساعي للحدّ من هذه المخاطر قيد الدراسة الآن، حتى لا تتعرض هذه المنطقة إلى ما قد يؤدي إلى اندثار بعض منها.

بدوره، وضح كاتب عام بلدية سيدي بوسعيد ورئيسها بالنيابة، صالح العمراني «أن الطبيعة الرملية لمنطقة سيدي بوسعيد وقربها من البحر، يجعلاها مهددة بمخاطر الانزلاقات الأرضية، ما يهدد المباني التي تميز المدينة ذات الطابع المعماري الخاص».

باختصار

كانت منطقة سيدي بوسعيد قبلة الفنانين من موسيقيين؛ إذ غنى عنها الفنان التونسي الراحل علي الرياحي، والفنان الفرنسي باتريك برويال

■■■

تعود مخاطر الانزلاقات هذه إلى الانجراف البحري، خاصة أن نوعية التربة التي تتكون منها الهضبة تجعلها قابلة للتآكل

■■■

تسعى تونس من خلال وزارة الشؤون الثقافية إلى إدراج منطقة سيدي بوسعيد في التراث العالمي؛ إذ أُعدّ ملف حول هذه المنطقة وجماليتها وعمقها التاريخي

وأشار إلى «أن الدولة التونسية شرعت في إعداد دراسات عملية لإنقاذ الهضبة من الانزلاقات؛ وقامت وزارتا الشؤون الثقافية والفلاحة بالاستعانة بمختصين في الجيولوجيا في البحث عن الحلول الممكنة لظاهرة الانزلاق، من خلال التشجير، وتقوية الأرضية بالإسمنت المسلح». وقال إن «هناك دراسات أُنجزت في هذا المجال، وهي دراسات سيقع تحيينها وفقاً لطبيعة المخاطر»، وأضاف أن «التهديدات التي تشهدها المدينة، حتى الآن، ليست كبيرة، لكن الإجراءات الاحترازية والوقائية مطلوبة حتى لا تحصل هذه الانزلاقات، مثل منع جولات السيارات في بعض المناطق حماية للتربة، وكذلك تجديد شبكة تصريف مياه الأمطار».

يذكر أن تونس تسعى من خلال وزارة الشؤون الثقافية إلى إدراج منطقة سيدي بوسعيد في التراث العالمي؛ إذ أُعدّ ملف حول هذه المنطقة وجماليتها وعمقها التاريخي، ليوجه إلى منظمة اليونسكو حتى تدرس إمكانية إدراجها في قائمة التراث العالمي. ملف يؤكد الطابع المعماري المميز للمدينة وعمقها التاريخي؛ إذ كانت جزءاً من مدينة قرطاج التاريخية، وعرفت باسم قرية حدشت باللغة الفينيقية الكنعانية، ليصبح اسمها بعد ذلك جبل منارة قرطاجنة. وأصبحت في سنة 1893 تسمى بمدينة سيدي بوسعيد، نسبة إلى أبي سعيد الباجي، المتصوف الشهير الذي رحل إلى المدينة سنة 1230 ميلادية، ودفن في هضبتها.

وأخيراً

عن آباء غائبين في غزّة

سما حسن

أثارني تسجيل صوتي للدكتور عدنان البرش، الذي قضى نحبه في معتقل عوفر الإسرائيلي بعد خطفه عدة أشهر من مستشفى العودة في جباليا في شمال قطاع غزّة. وعلى الرغم من النهاية الأليمة للطبيب الشجاع الذي أصرّ على البقاء مع مرضاه وعدم مغادرة المستشفى في أثناء حصار الاحتلال له، وعلى الرغم مما تناولته وسائل الإعلام عن بطولات الطبيب الراحل وما قدّمه من خدمات جليلة للمرضى، قبل الحرب أو خلالها، فالتسجيل الصوتي الذي لفتني هو ما تحدّث به الطبيب عن إجلائه زوجته وأطفاله من البيت وحرصه على الاطمئنان على سلامتهم. ولفتني بعد وفاته لقاء مع طفله الأكبر بين إخوته، تحدّث فيه عن الطبيب الأب الذي كان يعمل على مدار الساعة لخدمة المرضى الفقراء، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يخصص يوم الجمعة من كل أسبوع لعائلته، حيث يخرج بهم منذ الفجر باتجاه البحر لتمضية وقت طيب برفقتهم وتعليمهم السباحة، وأنه كان يعتبر هذا اليوم مقدّساً بعد عناء الأسبوع لحرصة على ألا يكون أباً غائباً بسبب شهرته وتهافت المرضى عليه من كل أنحاء القطاع، خصوصاً الفقراء منهم، وحيث كان يخصّص لهم يوماً مجانياً للعلاج.

بدت إمارات الحزن واضحة على وجه الطفل الصغير، يزن، وهو يصف، بصوت لا يخلو من فخر، بطولة والده الراحل، وحرصه على الاتصال بهم وتشجيعهم وشدّ أزرهم رغم حصاره في المستشفى، وحاجته أكثر منهم لمن يشجّعه ويشدّ من أزره، فقد كان الطبيب الراحل الذي قضى أربعة أشهر في سجون الاحتلال وقبل اعتقاله في حالةٍ لا توصف، فلا يمكن تخيّل أن طبيباً يستطيع أن يقوم بعمله داخل مستشفى محاصر من الأرض والجو، والقتلى يسقطون بين قدميه وهو ما زال واقفاً يحاول أن يسعف آخرين أصيبوا خلال حصار المستشفى أو نقلوا إليه من أماكن قصف متفرّقة. لا يمكن أن تتغيّر صورة الأب الفلسطيني، ولا يمكن أن تكون هناك إلا صورة الأب التي تبقى في الذهن، وفي ثنايا الروح، ومستقرّة في خبايا النفس، مهما مرّ الزّمن وطوت السنون الصورة التي تبهت رويداً رويداً في عيون الآخرين، ولكن ذلك لا يحدُث مع الأبناء الذين لا يتوقّفون عن تذكّر الأب الذي ضحّى من أجلهم، فلا يمكن أن ينسى طفلٌ صغير أباه الذي أصرّ على إجلائه مع أمّه وإخوته من البيت، والطائرات المسيّرة تطرّز السماء فوقهم، والدبّابات تطلق قذائفها من الحدود، وحين اطمأن بشأن إجلائهم من طريق ظنّ أنّه أكثر أماناً، وقرّر أن يخرج بعدهم، اصطادته رصاصة أطلقتها طائرة مسيّرة، فسقط على بعد أمتار من مرأى عيونهم، ولكنّهم لم يستطيعوا العودة لنجدته، أو حتى إلقاء نظرة أخيرة عليه، فيما كان يلوّح لهم بذراعه أن يبتعدوا خوفاً عليهم، قبل أن تهمد هذه الذراع إلى جواره مطمئناً لنجاتهم. ولا يمكن أن نتخيّل حال الآباء وشعورهم حين أصرّوا على إجلاء أطفالهم مع أمّهاتهم من شمال غزّة نحو جنوبها في رحلة نزوح شاقّة، وظلّ الأب في الشمال المحاصَر، لأن الأوامر المتذبذبة والمتضاربة اقتضت في منطقة ما تعرّضت للحصار في شمال غزّة خروج النساء والأطفال فقط، فأسلم الأب عائلته للطريق الشاقّ، وبقي ينتظر مصيره المجهول، والذي يراوح بين الاعتقال والتنكيل أو القنص والموت، ورغم رفض الأم وأطفالها أن يفترقوا، إلا أنهم يذعنون أخيراً لإصرار الأب على نجاتهم.

> لا يمكن أن تكون هناك إلا صورة الأب التي تبقى في الذهن، وفي ثنايا الروح، ومستقرّة في خبايا النفس، مهما مرّ الزّمن

أما الآباء الأبطال الذين قضوا وهم ينتظرون كيساً من الطحين ساعات طويلة والدبابات تحاصرهم بقذائفها وتحوم فوق رؤوسهم الطائرات المسيّرة التي تطلق الرصاص بلا هوادة، فمثل هذا الأب الغائب لا يمكن أن يتحوّل إلى صورة باهتة، فهو يرحل ويترك خلفه رسائل لا تُكتب ولا توصف، ولكن تراها في مآقي الأطفال الذين يستيقظون في الخيام، ويعانون أكثر مما كانوا، حيث غاب الأب وأصبح عليهم أن يصبحوا آباءً صغاراً لأخواتهم البنات، وهؤلاء يكبرون سريعاً لأن الحمل الذي يتركه الأب الغائب يكون ثقيلاً، وشهادات الناجين من المجازر على مرّ تاريخ النضال الفلسطيني شاهدة على أطفالٍ تربّوا يتامى، ولكنهم أصبحوا رجالاً يُشار إليهم بالبنان.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**